الضَيـفُ...و...الضيـافـة

﴿مَنْ كـانَ يُؤمـنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِم ضَيْفَهَ﴾ الضيف ؛ هو الشخص الذي يبقي لديك ، أو تستقبله في بيتك لفترة ما ... وما تقدمه إليه في فترة اقامته لديك تُسمي "ضيافة" .

وأستقبال الضيف ، والبشاشة في إستقباله من المكرمات .. وعرفت العمارة الإسلامية مشتقات الضيافة .. فهناك المضيفة .. ودار الضيافة .. وغرفة الضيوف ، والسلاملك.. والحراملك .. وكلها مخصصة لإستقبال الضيف ، وحسن اللقاء .. فسكان القري ، والقصبات ، حريصون كل الحرص علي أن تكون هناك المضيفة ، أو دار الضيافة لخدمة الضيوف ، وعابري السبيل .. أما إذا كانت الضيافة داخل البيت ؛ فهناك غرفة ، أو قاعة ، أو أوضة الضيوف ؛ لها أثاثها ، وفراشها الخاص بها .. ونحن سكان المدن ، من ذوي الأصول الريفية ، مازلنا حريصون علي وجود هذه الغرفة .. فالقيم التراثية الأصيلة ؛ تحتم إحترام الضيف ، ورعايته ، وحمايته .. ومراعاة راحته.. وإطعامه ، بل والإصرار عليه لتناول الطعام .. والقسم عليه بآغلظ الإيمان حتي يأكل .. كانت الأصول تقتضى عند السفر بالدواب ، أو قبل الوسائط الحديثة.. أن تُكرم القري وفادة الضيف الذي يمر منها مجرد المرور ، دون أن تسأله عن كنيته ، أو وجهته .. بل تقدم إليه واجب الضيافة ، لذات الضيافة .. وليست لآي إعتبارات تتعلق بشخص ، أو قدر ، أو منزلة الضيف ، أو المضيف .. بل لابد من أن تشمل الضيافة حتي دوابه التي يركبها .. وكانت التقاليد العريقة ؛ تقضي إذا ما قدِّم للضيف وليمة ، أو نصيبه من الطعام .. أن يأخذ نصيبه ، ولابد أن يترك لأهل البيت الباقي .. وفي بعض المآثورات ، أن يقسم الذبيحة إلي تسعة اقسام .. يأخذ قسماً ، ويرد الثمانية لأهل الدار ، حتي يطعم منها الجميع ، قائلاً هذا بركة أهل الدار ..

إن الحياة العصرية ، والحداثة المستغربة ، وحياة المدن ، فرضت علينا ، شئنا ، أو لم نشأ التقليل من مظاهر الضيافة القديمة .. وبالرغم من هذا الهجوم الشرس ، للعوامل الإقتصادية ، ودواعي التفرنج ، والتباعد الأسري ، والتحديث الغربي ، إلا أن مجتمعاتنا الشرقيه – إلي حد ما – ما زالت تعرف الأنواع التالية من الضيافة ؛

- ضيافة فيها مبيت ،
- ضيافة ليوم واحد .
- ضيافة لوقت محدد "قهوة الصباح .. شاي العصاري "
- ضيافة المساء ..
- ضيافة انصيفية ..

وتتم هذه الضيافة بين ذوي الرحم من الآقارب كالأب ، والأم ، الجدات ، والجدود، الآعمام ، والعمات .. الأخوال ، والخالات ، أو أبناءهم ..

- كما أن هناك ضيافة بين الأصدقاء ، والرفاق ، وزملاء العمل ..

إذا كانت الحياة في المدن الكبيرة قد وفرت بعض الإمكانات كالفنادق ، والموتيلات، ودور الضيافة الملحقة بالمصالح الحكومية ، والإستراحات قد يسرت أمور الضيافة . إلا أن ضيق الشقق والمساكن الحديثة وقلة الغرف فيها ، قد قلل من فرص إقامة الضيف وإستقباله داخل البيت ، بالإضافة إلي ذلك فإن عمل الزوج ، والزوجة وخروجهما من البيت قد جعل ذلك أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً في الوقت الراهن..

كل هذه الأمور ، وخاصة في المدن الكبيرة ، والتجمعات الصناعية ، قد قلل فرص الضيافة إلي أدني مستوي يمكن توقعه .. ولكن في المدن الصغيرة ، وفي المراكز، أو الإمارات ، والولايات ، والقصبات والقرى ، والنجوع ، والكفور فما زالت القيم التراثية ، والأصالة المتعلقة بالضيافة مرعيَّة ، ويحرص عليها الجميع ، مهما إختلفت المستويات الإقتصادية ، والثقافية.. فما زالت الأسر في هذه المدن الصغيرة ، وأحياناً بعض الأسر في المدن الكبيرة ، تحرص علي إستضافة بلدياتهم الذين وفدوا إلي المدن ، أو القصبة ، أو المركز من أجل العلاج ، أو البحث عن عمل ، أو متابعة أعمال تخصهم، سواء قصرت هذه الضيافة أو طالت.. ويجب أن ننظر إلي التراث الإجتماعي ، والقيمي المتعلق بالضيافة علي أنه يؤدي إلي صلة الرحم ، ويقوي الأواصر الأسرية .. ويزيد من الترابط في المجتمع .. بصرف النظر عن المتاعب ، أو المصاعب الإقتصادية .. وهناك بعض السلوكيات الواجب مراعاتها عند القيام بالضيافة ، أو الإستضافة ؛

– يجب إخبار المضيف – بقدر الإمكان – والإستئذان قبل التوجه كضيف إلي مسكنه ..

– سواء أكانت ضيافة مصحوبة بالطعام ، أو بدونه فإنه من الواجب الحرص علي أخذ هدية مناسبة عند التوجه إلي المضيف .. ويُستحسن أن تكون هذه الهدية كتاباً، أو أثراً فنياً ، فذلك يزيد من تنمية القراءة ، والذوق العام ، وتذوق الجمال ..

– اختيار الملبس ، والقيافة التي تتناسب مع الدعوة ..

– ضرورة مراعاة ألا يتوجه إلي الدعوة إلا المدعو فقط .. من أهل البيت ..

– يجب تحديد موعد الدعوة ، من قبل الداعي ، وأن يُراعي المدعو هذا الموعد ، بكل دقة وإحترام ، فلاتبكير ، ولا تأخير خارج عن نطاق المقبول .

– إذا كانت الدعوة ، أو التوجه إلى الضيافة في يوم العطلة الأسبوعية ، أو خلال العطلات الدينية ، أو في المناسبات القومية ؛ فيجب مراعاة عدم إفساد البرنامج الذي كانت تعده الأسرة الآخري لنفسها .. وأن يبتعد الطرف المبادر بالذهاب بقدر الإمكان عن فرض الأمر الواقع .

– يفضل عند التوجه كضيف ، أن ياخذ الشخص أدواته الخاصة ؛ كشبشب البيت مثلاً .. أو فرشة الأسنان ، ومعجون الأسنان إذا كان الأمر يتطلب المبيت لدي المضيف ..

– علي صاحب البيت ، مقدم الدعوة ، أن يدعو كل ضيف علي حدة ، وأن يدعوه شفاهاً بالتليفون ، أو مباشرة ، أو كتابة ، وان تحيطه علماً بشخصية باقي المدعووين ؛ حتي لا يسبب حرجاً لأحد الضيوف ، أو يتسبب في خلق نزاع ، أو سوء فهم دون قصد .. فيما بين الضيوف .

– علي المضيف أن يبدو بشوشاً ، مبتسماً ، فرحاً ، بمقدم ضيوفه ، والحفاوة بهم..

– إذا كان بين الضيوف مَنْ لا يعرفون بعضهم بعضًا ؛ فعلي المضيف أن يقدمهم إلي بعضهم البعض ، بالشكل المناسب لكل واحد منهم علي حدة ..

– مهما كان شكل الضيافة ، يجب أن يبتعد الضيف ، والمضيف عن أي

تصرف؛ سواء بالقول ، أو التصرف ، أو العمل يمكن أن يسبب شيئًا من سوء الفهم، كضرب الأطفال ، أو الإنحياز إلي طرف ضد الطرف الأخر ، أو التحمس لإشاعة لا يرضي عنها الطرف الأخر ، أو التحدث مع طرف ، وإهمال الطرف الآخر ، أو بمعني آخر فلا يجب الاستئثار بالحديث ، أو بالحديث مع طرف ، أو ضيف ، دون ضيف آخر ، والبعد عن كل ما يزيد من القلق ، أو الشغف ، أو الغيرة لدي ضيف من الضيوف الموجودين . .

- علي الضيف عندما يكون ضيفاً لدي الآخر ، ألا يُصِّر علي متابعة مسلسل معين مثلاً . . في الوقت الذي يكون أصحاب البيت يتابعون برنامجاً معيناً آخر . . أو إظهار الرفض ، أو إظهار الملل من البرنامج الذي يُعرض ، وتصادف دخولهم إلي المكان الذي فيه المزياع ، أو التلفاز . . يجب البعد ، كل البعد ، عن التصرف الآناني . . بل يجب مراعاه الأخر تماماً خلال فترة الضيافة . .

- علي الضيف ألا يتدخل في تنظيم البيت . . أو أن يُبدي إستياءه من الوضع الذي هو عليه . . أو أن يجامل الضيفُ ربةَ البيت ، أو رب البيت علي حساب الأخر ، بل يجب مراعاة التوازن في المعاملة . . ومراعاه السلوك الاجتماعي السوي في مثل هذه الأمور . .

وهكذا ، فإن المسلم الحق يؤمن بواجب إكرام الضيف ، ويقدره قدره المطلوب ، وذلك لقول رسول الله ﷺ ﴿ **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ؟ قالوا ؛ وما جائزته ؟ قال : يومه وليلته . والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقه** ﴾ .

* * *

إكـــرامُ الضَيـــفِ

علي المضيف أن يبذل الجهد في إكرام ضيفه . ويظهر له ما يدل علي الحفاوة به .. وعلي الضيف أن يقابل ذلك بالشكر ، والإمتنان لما بُذل له .. وأن يُعبر عن ذلك بالقول ، والسلوك ، وتعبيرات الوجه ، ونغمة الحديث .. كما يُعبر عن رغبته في استقبالهم هم أيضاً ..

إذا كان ذلك يحمل ماهية الدعوة المقابلة ، فلو كانت ستتحقق ، فلا يجب تأخير الدعوة عن الحد المألوف ، بل علي الداعي أن يوجه الدعوة تليفونياً ، أو كتابياً ، وأن تكون موجهة إلي كبير العائلة في الوقت المناسب ..

– في الدعوات الليلية ، يجب الحرص علي عدم الإسراف ، والإصرار علي تناول أنواع معينة من الأطعمة ، أو المشروبات ..

– يُفضل تقديم بعض المأكولات ، أو المشروبات المحلية ، أو من تلك التي تشتهر بها المنطقة التي فيها الدعوة ، وإذا كان الضيف أجنبياً ، فيجب مراعاة التقاليد والأعراف الإسلامية ؛ بعدم تقديم المشروبات الكحولية ، أو تلك التي تُصنع من لحم الخنزير .. وهي أصلاً محرمة إسلامياً ، فلا يجب مجاملة الضيف علي حساب القيم، والعادات والتقاليد .. بل يُفضل تقديم المشروبات ، والمأكولات المحلية ، والقومية ..

– بصفة عامة ، الذي يدير الحوار علي المائدة ، هي ربة البيت المضيف .. وعليها أن تتدارك ، أو تُسارع بتغيير الموضوع ، لو أحست أن في الأُفق بوادر سوء فهم ، أو سوء تفاهم .. وأن يتم ذلك بلباقة .. وحسن تصرف بما ينعكس علي الجميع بالراحة، والوفاق ..

* تحرص العنعنات التركية ؛ علي تقديم الكولونيا ، للضيف ، خاصة في أول دخوله ، وعقب الجلوس ، وربما ذلك لتطهير يديه ، أو للترويح عن النفس ، وإستنشاق شيء طيب الرائحة ..

بينما تحرص بعض المجتمعات العربية علي تقديم التمور ، مع القهوة العربية عقب دخول الضيف ..

– لا غضاضة من مساعدة الزوج ، والأبناء الذكور في إعادة ترتيب البيت بعد إنصراف الضيوف ، وعدم ترك الأمر كله علي الزوجة ، كما يجب تقديم الشكر للزوجة علي المجهود الذي بذلته ، والإشادة بالإيجابيات التي بدت أثناء الوليمة .

إذا طالت المدة ، ولم يبحث عنك ، أو سأل عليك صديق تعتز بصداقته ، فعليك أن تُبادر بالسؤال عنه ، وعن أحواله... فإن ذلك من متطلبات الصداقة.

أما إذا سألت أنت عنه ، وكررت الإطمئنان عليه ، ولم يُبادر بالسؤال عنك ، فلابد من تقصى الأمر ، فلربما هناك أمر قد دفعه إلي ذلك .. فلابد من فهم الوضع ، والتصرف وفقاً لذلك ..

يجب ألا تُقطع الصلات ، والعلاقات فجاة ، وبدون مقدمات ، وإذا كانت هناك أسباب ، وعوامل تستدعي قطع العلاقات ، فلابد من مناقشة هذه الأسباب ، والعوامل بحسن نية ، وقلب مفتوح ، ورغبة أكيدة في رأب الصدع .. ولا يكون هناك أي حرج في ذلك .

كما يجب التدقيق في أنسب الاوقات ، والمناسبات لإقامة الولائم الضيافية ، وتبادلها .. حتي يمكن تحقيق الهدف المنشود من وراء الضيافة ..

ومن أهم أولويات حسن الضيافة عدم إرهاق آهل الدار ، أو الإثقال عليهم .. وألا تطول مدة الضيافة ، فللضيف ثلاثة أيام .. ولو كان أجنبياً .. لا يُسأل عن إسمه ، وكنيته .. ووجهته.. وطلبه ، إلا بعد الثلاثة أيام الأول من الضيافة ..

* * *